# آفاق

«لست أهوى القراءة لأكتب، ولا أهوى القراءة لأزداد عمراً في تقدير الحساب، وإنما أهوى القراءة لأن عندي حياة واحدة، وحياة واحدة لا تكفيني، والقراءة هي التي تعطيني أكثر من حياة، لأنها تزيد الحياة عمقا». عباس محمود العقاد

العدد 1 الاثنين 1 جمادى الأولى 1440هـ الموافق 7 كانون الثاني/ يناير 2019 م

1

جريدة إلكترونية فصلية ثقافية منوعة تصدر عن مؤسسة البيان للعلوم والمعرفة

## ازرع كلمة

من أعظم الأمانات التي سنسأل عنها بين يدي الله سبحانه وتعالى: "أمانة الكلمة" كما قال سبحانه وتعالى: {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [سورة ق:18] فالإحصاء الكامل لكل ما نطق به الإنسان ومحاسبته عليه إحدى عقائد الإيمان ومسائله التي يجب على المسلم استحضارها وتعظيم شأنها.

والكلمة المكتوبة شأنها تماماً شأن الكلمة المنطوقة، وقد تكون الكلمة المكتوبة أعظم أثراً وأوسع انتشاراً وأطول عمراً من الكلمة المنطوقة، ولذلك كانت جريرتها -في الإثم- أعظم، وثوابها -في الخير- أكبر وأكثر، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثٍ : مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) [رواه مسلم]، وهل العلم المنتفع به إلا (كلمة) حفظت بعد موت صاحبها في الصدور أو السطور وتناقلتها الألسنة أو الأقلام.

وكلمة الحق والعدل من أعظم الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى منطوقة كانت أو مكتوبة، فعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ الْبَجَلِيِّ الْأَحْمَسِيِّ : أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ، أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ) [رواه النسائي].

وطالما كان لهذه الكلمة الطيبة أثر في الأرض وثمار في النفوس كان لصاحبها أجر بذلك، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة إبراهيم:24-25].

وكذلك الشأن في كلمة الباطل والزور كلما عملت إفسادها في الأرض والنفوس كلما ازداد قائلها أو كاتبها إثماً كما قال صلى الله عليه وسلم: (وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا) [رواه مسلم].

وقد ال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النور:24].

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

احفظ لســــانك أيها الإنسانُ ** لا يلدغـنَّـك إنهُ ثعبـانُ
كم في المقابرِ من قتيلِ لسانهِ * كانت تهاب لقاءهُ الأقرانُ

وإذا كان في الناس من يظن أن الكلمة الآثمة التي تلقى على عواهنها لا تضر صاحبها فهو مخطئ، وكذلك لا تنقص أجر الكلمة الطيبة أن صاحبها لم يكن يظن أنها ستبلغ في الخير ما بلغت فقد يرفعه الله بها في الجنة درجات، وهو يوم قالها أو كتبها لم يكن يتصور ذلك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ) [رواه البخاري].

وقد يظن بعد هذا الإيضاح بعض الناس أن الكلمة الطيبة التي ترفع صاحبها في الجنة هذا المقدار أمرها هين ويستطيع كل إنسان مَلَكَ لساناً أو قلماً أن يفعلها، ولكن لنعلم أن من شروط

الكلمة الطيبة ما يأتي:

أولاً: أن تكون كلمة صدق، فالزور والباطل والكذب لا يمكن أن يكون طيباً، وما أقل الصدق في أيامنا هذه.

ثانياً: أن يكون صاحبها عاملاً بها فلا يكفي أن نأمر الناس بالخير وننسى أنفسنا والله يمقت على ذلك كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف:2-3].

ثالثاً: أن يكون المراد من وراء الكلمة هو الله والدار الآخرة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [سورة النساء:114] ، فقيد سبحانه وتعالى الأجر العظيم بابتغاء مرضاة الله سبحانه.

هذه الشروط التي نرجو أن نلتزم بها ونوصي أحبابنا وإخواننا بالالتزام بها عند بذل كلماتهم، وبذلك نحقق شيئاً من أمانة الكلمة التي كلفنا الله سبحانه وتعالى بها.

وبهذا نفسح المجال لتأخذ الكلمة الطيبة طريقها إلى إصلاح القلوب والنفوس والمجتمعات ومحاربة الشر والرذيلة والظلم، وإذا فسح المجال للكلمة الطيبة المخلصة؛ فأثمرت العمل الطيب الصالح، فإن الكلمة الخبيثة الشريرة الكاذبة يفتضح أمرها ويتوارى أهلها لأنها تصبح بعد ذلك كلمة منكرة معلوم كذبها وزورها.

## العفو سبيل المحسنين

ما أجمل ما سطره العلامة السعدي في تفسيره حيث يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾:

"هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم.

﴿وأمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو برِ والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فَصِلْهُ، ومن ظلمك فاعدل فيه." اهـ

وفي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم نماذج رائعة للعفو والتسامح، فقد عفا عن أهل الطائف لما ألّبوا عليه صبيانهم ومجانينهم يضربونه بالحجارة حتى أدموا قدميه، وعفا عن ثمامة بن أثال حينما جاء ليقتله، وعفا عن المرأة اليهودية التي دست له السم في طعامه، وعفا عن أهل مكة حينما فتحها، وقال: ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

## كبر السن ليس عائقًا لطلب العلم

جاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي (242-241/12) راويًا عن أبي محمد بن العربي ما نصه:

"قال لي الوزير أبو محمد بن العربي، أخبرني الشيخ الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أنَّ سبب تعلُّمه الفقه أنه شهد جنازةً لرجل كبير من إخوان أبيه، فدخل المسجدَ قبل صلاة العصر والحفل فيه، فجلس ولم يركع، فقال له أستاذه - يعني الذي رباه - بإشارة -: أنْ قم فصلِّ تحيةَ المسجد، فلم يفهم، فقال له بعض المجاورين له: أبلغت هذه السنَّ ولا تعلم أن تحية المسجد واجبة؟ وكان قد بلغ حينئذٍ ستة وعشرين عامًا، قال: فقمتُ وركعت وفهمت إذن إشارة الأستاذ إليَّ بذلك، قال: فلما انصرفنا من الصلاة على الجنازة إلى المسجد مشاركة للأحياء من أقرباء الميت، دخلتُ المسجد فبادرتُ بالركوع، فقيل لي: اجلس اجلس، ليس هذا وقت صلاة، فانصرفتُ عن الميت وقد خزيت، ولحقني ما هانت عليَّ به نفسي، وقلت للأستاذ: دلني على دار الشيخ الفقيه المشاور أبي عبد الله بن دحون، فدلَّني فقصدته من ذلك المشهد وأعلمته بما جرى فيه، وسألتُه الابتداء بقراءة العلم واسترشدته، فدلَّني على كتاب "الموطأ" لمالك بن أنس رضي الله عنه، فبدأتُ به عليه قراءةً من اليوم التالي لذلك اليوم، ثم تتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوام وبدأتُ بالمناظرة" ومثل ركعتي تحية المسجد، سجدة السهو التي تَجبر الخَلل الذي يقع في الصلاة لم يكن ابنُ حزم وهو في هذه السن يدري عنها شيئًا؛ فقد ذكر أيضًا ياقوت عن تلميذ ابن حزم هذا قوله: "إني بلغت هذه السن - أي: سن ست وعشرين سنة - وأنا لا أدري كيف أجبر صلاة من الصلوات" .

هذه الحادثة كانت حافزاً لابن حزم على طلب العلم حتى ألف كتابه المحلى..!

- رحم الله الإمام الشافعي حينما قال:

إذا رمت أن تحيا سليماً من الردى
ودينك موفور وعِرْضُكَ صَيِنّ
لســـانك لا تذكر به عورة امرئ
فكلك عـورات وللنـاس ألسنُ
وعيـنـاك إن أبدت إليـــك معايبـاً
فدعها وقل يا عين للناس أعينُ
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى
ودافع ولكن بالتي هي أحسنُ

## عامٌ مضى وانقضى

عامٌ مضى وانقضى.. مضى عامٌ كامل.. بشهوره وأيامه ولياليه.. بساعاته ودقائقه وثوانيه.. مِن أعمارنا.. من آجالنا.. من أعمالنا: حسَنِها، وسيِّئِها.. طويَت صحائفُه، أقفلَت سجلاته.. رُفِعَت درجاته، وُضِعَت فيه حسناته وسيئاته.. تُرى: هل تُقبِّل منَّا فيه من أعمال صالحات؟ تُرى: هل محيَت عنا فيه المعاصي والسيئات؟ لا نعلم، سوى أن ظننا في الله تعالى كبير وجميل، فهو أهلٌ للظنِّ الحسن. وهو القائل في الحديث القدسي الجليل: (أنا عند ظن عبدي بي، فليظنّ بي ما شاء).

## هل تعرف (أوفا ركس) الملك البريطاني المسلم؟

هل يعرف المسلمون من هو الملك المسلم " Offa Rex " وبالعربية " أوفا ركس" ؟
إنه ملك مرسيا بإنجلترا (توفي عام 796)، بعد أن حكم تسعة وثلاثين عاماً وخلفه ابنه إغفريث.

أوفا ركس هو ملك مرسيا بين عامي 757 - 796، وقد كان أحد أكثر ملوك الجزيرة البريطانية هيبة في زمانه، ولكن الكنيسة جعلت المؤرخين يتجاهلونه بسبب إسلامه؛ مما تسبب في قلة المصادر التي تتحدَّث عنه، رغم مساهمته في توحيد الممالك الأنجلوساكسونية السبع، وجهوده في الإنعاش الاقتصادي ونشر الأمن.

في عام 757م تولَّى أوفا ركس مُلك مرسيا ببريطانيا بعدما قُتل ابن عمه (إيزلبالد) من أعدائهما، وقيام حرب أهلية بسبب تدخُّل أحد مجهول الهوية مدعي أحقيته المُلك، فانتصر أوفا عليه، ولكن هذه الحرب سببت صدعًا داخليًّا، كلَّف الملك لرأبه مدة سبع سنوات، بعد ذلك استعدَّ لتوحيد الممالك السبع تحت حكمه، فقد حاول بالطرق العسكرية والدبلوماسية وبالمصاهرة توحيد إنجلترا، فأصبحت كما أراد.

ولكن هذه الوحدة لم تكن تروق للفاتيكان ورجاله، الذين أظهروا العداوة للملك أوفا ركس؛ فأرسل البابا ولأوَّل مرة منذ دخول إنجلترا للمسيحية بعثةً في عام 786م، تحمل كبار مبشِّريها لمحاولة منع شعب إنجلترا من ترك دينهم والاهتداء للإسلام؛ خوفًا من اتباعهم لملكهم ذي الشعبية الكبيرة، كما حرَّضت الفاتيكان (ويلز) للحرب ضد أوفا؛ مما جعله يُشيِّد سورًا عظيمًا على الحدود بين إنجلترا وويلز ما تزال آثاره باقية حتى اليوم، وذلك لحماية بلاده من غزو القبائل الإسكتلندية في الشمال، وهذا السور يُشكِّل حالياً الحدود النظرية الفاصلة بين انجلترا وأسكتلندا، ويُعَدُّ مَعْلَماً تاريخياً وسياحياً مُهِمّاً ما يزال يُعرَف

باسمه القديم (سور أووفا) أو.Offas Dyke

اهتمَّ الملك أوفا ركس بنشر الأمن بعد جهود توحيد البلاد، ووضع التشريعات لحماية المواطنين، كما حرص على رفع المستوى الاجتماعي والثقافي لديهم، وحثَّ على البناء والإعمار؛ محاولة منه لجعل بلاده حضارية، والخروج من التخلف والفوضى التي سبقته، جهوده هذه نجحت بفضل نجاح تجارة واقتصاد بلاده؛ مما جعل الكثير من الأموال التجارية تتدفق لمعالجة الأوضاع والإصلاح.

ومن أهم علاقاته التجارية علاقته مع الدولة العباسية الإسلامية، التي تطوَّرت أكثر بسبب منع ملك الفرنجة (شارلمان) تجار إنجلترا من الدخول لبلاده؛ بسبب آراء الملك أوفا المعادية للكنيسة، إلا أن (شارلمان) سرعان ما أقام اتفاقية تجارية مع أوفا؛ لمَّا وجد الضرر الذي لحق باقتصاد بلاده نتيجة هذه المقاطعة، وأيضًا لِمَا وجده من عدل ملك إنجلترا في تطبيق القوانين والتزامه بالاتفاقيات والمعاهدات على عكس ما اعتادوه من الملوك الأوربيين.

كما اهتمَّ أوفا ركس بالتعليم على عكس ملوك أوربا في ذلك العصر؛ حيث ساد الجهل ربوع أوربا لقرون طوال، ولكن إسلام (أوفا ركس) جعله يُدرك أهمية العلم والتعليم والثقافة في نهضة الأمم.

وفي المجال العسكري عمل (أوفا ركس) على تقوية الجيش، وعلى حماية بلاده، فأمر ببناء ما عُرِف بسور أوفا العظيم.

وتنبَّه أوفا ركس لأهمية الإصلاح التشريعي؛ في لمحة مبكِّرة تدلُّ على عدل هذا الملك العظيم.

كانت علاقات الملك (أوفا ركس) مع الدولة العباسية قوية؛ مما

مهَّد لإسلامه عن طريق التجار المسلمين، وإن كنا لا نعرِف

قصة إسلامه بالتفصيل؛ وذلك لإخفائه الأمر في البداية، ثم لحرص الفاتيكان والمؤرخين الصليبيين على إخفاء الحقيقة بعد ذلك بتجاهلها، بل وتجاهل شخص الملك نفسه رغم عظمته في تاريخهم.

قام الملك (أوفا ركس) بسكِّ عملة جديدة بدلاً من عملته القديمة التي تحمل صورته، وجعل عملته الجديدة تحمل عبارة: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) على أحد الوجهين، وعلى الوجه الآخر: (محمد رسول الله)؛ وذلك في إعلان صريح عن إسلامه، ولا توجد قطعة من هذه العملة إلا محفوظة بالمتحف البريطاني، وبها أخطاء إملائية؛ ربما بسبب جهل الذين سكُّوا العملة باللغة العربية.

ولم يكن الفاتيكان ورجاله ليهدؤوا حتى يقضوا على الملك أوفا، فتآمر بابا الفاتيكان مع (شارلمان) على قتل ملك إنجلترا؛ لكي لا يواصل أهدافه، ففي يوم الجمعة 29 من يوليو 796م/ 17 من جمادى الأولى 180هـ قُتل الملك أوفا، إلا أن وثائقهم تُشير إلى أنه مات فجأة فقط، ودُفِن في مصلى صغير، وذلك على غير عادة ملوك مرسيا الذين يُدفنون في كاتدرائيتهم.

وبعد حوالي قرنين أتى الملك الإنجليزي جون (1199–1216م) وأمر بالبحث عن قبره لوضعه في مكان لائق لتكريمه، وهو الذي أرسل بعثة إلى السلطان الموحدي محمد الناصر لدين الله في الأندلس يطلب منه المعونة العسكرية ضد البابوية، ويتيح له إرسال علماء مسلمين لبلده بهدف نشر الإسلام بإنجلترا، ولكن لم يعطِ أيٌّ من حُكَّام الأندلس اهتماماً لهذا الطلب بسبب الصراعات في ما بينهم على الحُكم، وبسبب انشغال محمد الناصر قائد قوات الموحِّدين بحروبه مع الإسبان وهزيمته القاصية والفاصلة في (معركة العقاب) لم تُتح له مساعدة الإنجليز.

إن الإسلام دين يغزو القلوب بكل منطق ممكن: القلب والعقل، ويفعل في النفوس الأفاعيل حتى يُنير العالَمَ كلَّه بنور الحقِّ، ويجعل الناس يعيشون في سعادة دائمة.

# المرأة المعاصرة بين العدل والمساواة

يقال إن أفراد الأمة الواحدة متساوون في الحقوق تجاه القانون بحكم الدستور، فلا يفهم من ذلك أن الطبيب الذي فشل في مهنته له الحق أن يطالب الحكومة بتعيينه رئيساً للمهندسين، ولا المهندس طبيباً يعالج المرضى، لمجرد الاستناد إلى هذه المادة من الدستور.

فإذا سأل سائل: بأي شيء قيدت هذه المادة من الدستور لمنع هذا الالتباس؟

نقول: بالمقدرة والاختصاص والتفوق، حتى تستثمر الدولة من كل فرد من أفراد الأمة خير ما فيه.

فإذا اتفقنا على أن مهمة المرأة الأولى هي أن تكون أماً وزوجة فقد بات من المشكل فهم ما تعنيه المرأة الحديثة من المطالبة بالمساواة!!

أيام زين الهاربين وقبيل الثورة في تونس الخضراء، وبحجة المساواة تجاوزت المرأة على حقوق الرجل كثيراً، لأن الرئيس في كل مناسبة لا بد وأن يمنح المرأة حقاً جديداً، حتى ان في كثير من الأحيان هضمت المرأة حق الرجل بدعوى حقوق المرأة والمساواة!

فتاة أكملت سنتها الأولى في الجامعة، فأرادت تجديد مبيتها في السكن الجامعي فقالوا لها: طلبك مرفوض .. إنها المساواة!!

تخرجت من الجامعة .. فطالب الشباب إجبار المرأة على التجنيد.. بمبدأ المساواة!

أرادت الزواج؛ وطلبت مهراً، فقالو لها:" لا مهر باسم المساواة"!

تزوجت فأجبرها زوجها على البحث عن عمل باسم المساواة!!

انتهت القوامة ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [سورة النساء: 34] فالمساواة تفرض عليها الانفاق!

التمست عملاً فلم تجد إلا أعمال الرجال الشاقة .. إنه عصر المساواة!

من سيعتني بالأطفال؟! فهي الآن تتأخر في العمل ! وقد ألغى العمل بنصف الدوام باسم المساواة!

كانت سعيدة لأن القانون يمنع تعدد الزوجات لكنها سرعان ما اكتشفت أن زوجها يخونها بمبدأ تعدد الصديقات والخليلات!!

أرادت الطلاق فكان ذلك؛ ولكن لا نفقة لها، بل تحملت هي كل التبعات؛ تلك هي المساواة!

حضانة الرضيع نالها الأب .. بمنطق المساواة!

أرادت من قصتها أن تكون عبرة لباقي الفتيات الباحثات عن المساواة، فذهبت لإمام المسجد وطلبت منه نصح الغافلات؛ أجابها الإمام المعتدل: لا يحق لنا الإشارة إلى اختيارات الدولة وكل السياسات! لا بد من عدم تسيس المساجد؛ إنها المساواة..!

فسياسة الدولة تقول: الدين لا دور له خارج العبادات؛ ولا بد من فصل الدين عن شؤون الحياة!!

لعل هذه القصة تكون عبرة لمن يتذكر أو يخشى، فالإسلام دعا للعدل بين الجنسين وليس إلى المساوة بينهما، فالمساواة بين

المراة والرجل ظلم بحق المراة، لأن الإسلام فضل المرأة على الرجل في مسائل، وفضل الرجل عليها في مسائل أخرى؛ كل حسب

الفطرة و القدرة الجسدية، فاقبلوا عدل الله، ذلك هو العدل وتلك هي المساواة العادلة، ولا تتمردوا على سنن الله في الكون!

ما أجمل حديث الداعية زينب الغزالي رحمها الله وهي تنصح المرأة المسلمة فتقول :

"الله - تبارك وتعالى - خلَق الرجل وخلق المرأة، وقرَّر عملاً للرجل، وقرَّر عملاً للمرأة، الرجل لا يزال في عمله الذي قرره له ولم يُضِف إليه شيئًا، فلم تُنهَك قواه، أما المرأة فقد حمَّلناها فوق طاقتها، جئنا الآن وفرضنا عليها قائلين: أنت تتزوَّجين، وتُنجبين، وتُربِّين الولد، وتخدمين الزوج، وتُعدِّين الطعام، وتُعدِّين الكساء، وتَخرُجين مع الرجل لتعملي في الخارج على قدم المساواة معه !

الرجل يعود من عمله إلى المنزل للراحة والاستِرخاء!!

أما المرأة فتعود من العمل لتَدخُل مطبَخَها تُعدُّ الطعام وتَخدُم الأسرة حتى الليل، وهكذا تحمَّلت مسؤوليتَيْن، بينما الرجل يتحمل مسؤولية واحدة! أليس كذلك؟ " ![انظر: هموم المرأة المسلمة والداعية زينب الغزالي، ابن الهاشمي:229].

ولتعلم المرأة أن دعاة المساواة لا يريدون لها الخير أبداً، فهم يظهرون لها معسول الكلام لتضل السبيل؛ ويخفون العلقم والحنظل .

ثم لتقارن المرأة المعاصرة بين قول الله تعالى رافعاً شأن المرأة بالعدل الإلهي: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97.] نعم؛ من ذكر أو أنثى: إنها شقيقة الرجل حقاً..

وبين ما أصدره البرلمان الإنجليزي من قرارات في عصر«هنري الثامن» ملك إنكلترا حيث يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب« العهد الجديد» أي: الإنجيل؛ لأنها تعتبر نجسة!

## هل ذكر اسم البنت أو الزوجة أمام الملأ معيباً؟

تصلنا جميعاً بين الفينة والأخرى بطاقات دعوة لحضور زفاف أو حفل عرس، إلا أننا نجد أن بطاقة الدعوة خالية من ذكر اسم العروس؛ ويكتب بدلاً من ذلك (كريمته) مع أن الأصل أن يكتب اسمها ليعلم أن فلاناً يتزوج فلانة كما يذكر اسمها في عقد النكاح!

أليس هذا من أخطائنا الاجتماعية المتفشية؟! إن أخطاءنا كثيرة، وبعضها مثيرة، ويعمق الخطأ أكثر إذا كان الاستدلال على فكرة غير صحيحة من صلب القرآن الكريم، والتغاضي عن زوايا أخرى قرآنية.

فيستدل بعضهم مثلاً من خلال القرآن الكريم، بأن الله تعالى لم يذكر اسم امرأة في القرآن الكريم إلا (مريم) لوضعها الخاص مع ابنها عيسى عليه الصلاة والسلام، وأن الله تعالى أشار إلى الزوجة بلفظ الأهل، وذكر الله في القرآن (امرأة نوح) و (امرأة لوط) دون أن يسميهما، ويذهب بعيداً حينما يجعل مفهوم ذكر اسم البنت أو الزوجة أو الأم معيباً!

لكننا لو نظرنا إلى المسألة من الزاوية نفسها لقلنا: بأن الله تعالى لم يذكر اسم أحد من الصحابة صريحاً إلا (زيد) ولم يذكر اسم أحد غيره مع كثرة الصحابة وعظمتهم، حتى الصديق أبو بكر رضي الله عنه فقد أشار القرآن إليه بقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فهل قال أحد: بأنه لا يجوز ذكر أسماء الصحابة لأن القرآن لم يذكر أسماءهم؟!

ثم إننا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أسماء زوجاته أمام الصحابة من الرجال من دون حرج، وها نحن جميعاً نروي الأحاديث عن السيدة عائشة رضي الله عنها باسمها الصريح ولم نقرأ لأحد من العلماء أو الفقهاء من منع ذلك!

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل: من أحب الناس إليك؟ فقال: عائشة. فقال له السائل : فمن الرجال؟ قال : أبوها .

والحديث لمن يتأمله ذو فوائد ولفتات اجتماعية رائعة وعظيمة، فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يكتفِ بالإجابة الأولى وتصريحه باسم زوجته وحبيبته؛ بل لما أخبره السائل عن مقصده من الرجال سارع أيضاً بنسبة المحبوب إلى زوجته عائشة فقال: (أبوها) رغم ما بينهما من جميل الصحبة والمحبة.

وذات مرة بينما النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث مع زوجته؛ إذ مرَّ صحابيان اثنان، فخشي النبي صلى الله عليه وسلم أن يقع في نفسيهما شيء، فبادرهما قائلاً: على رِسْلكما، إنما هي صفية".

فذكر اسم البنت أو الزوجة ليس منكراً ولا معيباً ولا مما يخرم المروءة، بل أرى أن هذا المفهوم من العادات والتقاليد التي ترسب في أذهان المجتمع عبر الزمان، وليس من الدين في شيء.

## ما معنى (عفواً) جواباً لـ (شكراً)؟

مَن يُخطئ ويعتذر قائلاً: (أنا آسف) نقول له: (عفواً) أي: أنا أعفو عنك عفواً، ويصح أن يقول المُخطئ: (عفواً) أي : أعفُ عني عفواً، والجواب أيضا : (عفواً) أي: عَفَوْتُ عنك عَفواً. أما مَن يقول لنا: (شكراً) فنقول له: (عفوا) فالمقصود بـ (عفوا) هنا: أعفيك من الشكر عفوًا. وإن (عفواً) في كلا الجوابين إعرابها مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: أعفو. ويمكن أن نقول في جواب الاعتذار والشكر: ( العفو ) بأل. والتقدير يكون : عفوتُ العفوَ.

## الكتاب الضائع: تظلُّم السور

عام 2008م كنا مع بعض الإخوة والباحثين نتناقش في كثير من الأمور الثقافية والفكرية الإسلامية وغيرها على موقع الوراق، وأذكر يومها طرح علينا الأستاذ والشاعر الكبير زهير ظاظا سؤالاً حِرْنا في جوابه، وكان السؤال على الشكل التالي:

كتاب يعد في ذخائر العرب، تصوَّر واضعه فيه مجلساً اجتمعت فيه سور القرآن الكريم للشكوى مما فعل بها المسلمون، تقوم فيه السورة وتعرض على إخوتها ما فعل بها الفقهاء والمفسرون، والنحاة واللغويون، والقراء والمحدثون، فتقول :

انظروا لفلان الفقيه كيف استنبط ذلك الحكم من تلك الآية فيَّ؟

وانظروا إلى فلان المتكلم كيف استخرج تلك العقيدة من تلك الآية فيَّ ؟

وانظروا إلى فلان النحوي كيف صرّف ذلك الحرف فيَّ؟

وانظروا إلى فلان القارئ كيف قرأ تلك الآية فيَّ...؟

فتقوم سورة أخرى فتقول:

إذا كان هذا حالك فهذا شيء حسن: إن فلان بن فلان فعل بي كذا، وفلان بن فلان فعل بي كذا وفلان بن فلان فعل بي كذا...؟!

وهكذا دواليك إلى آخر القرآن الكريم .. فما اسم الكتاب ومن مؤلفه؟

هذا السؤال أوقعنا في حيص بيص ووقعتُ مع الناس في شجر البوادي، ولم نستطع الوصول إلى الإجابة الصحيحة، حتى جاءنا شاعرنا زهير ظاظا بالجواب الشافي فقال:

الكتاب هو (تظلُّم السور) لأبي العلاء المعري، وهو واحد من كتب أبي العلاء الضائعة .

# الشاعر زهير ظاظا



نبذة عن سيرة الأستاذ الباحث الأديب الشاعر زهير ظاظا حفظه الله تعالى كتبها بخط يده:

ولدتُ في صالحية دمشق يوم الثلاثاء/10/ جمادى الآخرة/1377 هـ الموافق 12/31/ 1957 شمال قصر ابن فضل الله العمري صاحب (مسالك الأبصار) لا يفصل بيننا وبين القصر سوى ردهة كانت فيما مضى باحة القصر، وتعرف هذه الحارة اليوم بزقاق بشار في (جسر النحاس) في حي الأكراد بدمشق، وأبواي كرديان، هاجر جداهما في وقت واحد من (باقر معدن) في ديار بكر وهي القرية التي أفاض الشهاب الألوسي في الحديث عنها في رحلته (نشوة الشمول) وكان والدي (وقد توفي يوم الخميس رحمه الله يوم 12/ صفر/ 1422 الموافق 2007/3/1) قد قضى طفولته في حي الميدان بدمشق فكان يقال له أحمد الميداني وجدته لأمه شامية من آل القصاب، وكان لما ولدتُ منهمكا في إعادة بناء مسجد خرب أثناء سفر برلك ولم يبق منه سوى أساسه، وكان يسمى (مسجد ملا رسول) وهو اليوم جامع الشيخ عيسى النقشبندي وكان جدي لأمي عثمان جاويش قد أوصاه بإعادة بناء المسجد، فقضيت سنوات طفولتي الأولى وأنا صحبة إخوتي الكبار الذين كان شغلهم الشاغل مساعدة والدي في بناء المسجد. ولا أزال أحتفظ بصور كثيرة لهم في أرجاء المسجد في مختلف مراحل بنائه منذ عام 1961 وتقتضي الأمانة التاريخية أن يسمى هذا المسجد باسم واقفه الأول ملا رسول بن ملا شيث الأيوبي جد الأسرة التي اشتهر منها آذن مدرسة الملك العادل (أبو فريد الأيوبي) رحمه الله.

وأعود لذكر ما فيه عبرة من حياتي فأقول: كنت في عام 1972 قد تركت الدراسة قبل أن أتم المرحلة الإعدادية وأصاب والدي عملاً لي في رحبة عسكرية في قسم صيانة الكاتربلر جوار مشفى ابن النفيس في حينا، وكان أن استوقفني منذ أول يوم فيها رجل واحد لا يرتدي زي الموظفين وإنما يرتدي زي أهل عربين ويمشي مرفوع الرأس رامياً بصره في الأفق غير عابئ بكل ما يدور حوله، فأوقع الله في قلبي محبته، ولما أذن المؤذن في مسجد الرحبة لصلاة الظهر تفاجأت أن هذا العربيني هو الذي تقدم الناس ليؤمهم في الصلاة، وبعد انقضاء الصلاة تقدمت منه وسلمت عليه فسألني عن اسمي وعرفت فيما بعد أنه يعمل سكابا في قسم (السكابة) فلما دخلت عليه في غرفته الصغيرة رأيت عجباً، كتباً بعضها فوق بعض، يقضي بمطالعتها أوقات فراغه في الرحبة، أخذت كتابا منها فكان (طيبة النشر) ولم أعرف موضوعه إذ ذاك، نظرت في كتاب ثان فكان كتابا نسيت عنوانه وحفظت اسم مؤلفه (أبي الحسنات اللكنوي) وكان هذا العربيني أول أساتذتي في الحياة وهو الشيخ الزاهد والعالم العابد عبد الستار الغبرة، وهو الذي حبب إلي طلب العلم والعودة إلى المدرسة بعد ثلاث سنوات قضيتها في صحبته في الرحبة، إذ أعلن معهد كفتارو في دمشق عام 1975 عن مسابقة امتحان القبول في الانتساب إلى المعهد، وكانت قصة طويلة نشرتها في موقع الوراق بعنوان (مشروع شاعر) فلا أعيد ذكرها هنا، وكنت في عام 1974 قد تعرفت على صديق أكتب هذا الكلام اليوم وكان في زيارتي في أبوظبي أول أمس وهو صديقي الغالي عمر بن ملا عبد العزيز(مندوب دار الخير للطباعة والنشر) وكنت أسمع من كبراء حينا بملا عبد العزيز ومكانته في العلم، ما جعلني أحرص على حضور دروسه العامة في مسجد سعيد باشا، فلما توثقت عرى الصداقة مع ابنه صرت أشبه بالمقيم في بيت ملا عبد العزيز، وقرأت عليه كل علوم الآلة، وكتبا في الفقه والتوحيد، ولازمته حتى وفاته رحمه الله في صفر 1404 تشرين الثاني 1983 وكتبتُ شاهدة قبره ولم ير ذلك والدي فلم يذكره في (نشر البشام) لأن قبر الملا في مقبرة مقفلة جوار قبر ملا محمود سيدا وكنت في عام 1977 قد انجرفت في مختلف التيارات الإسلامية التي كانت تذخر بها دمشق، فزرت الشيخ ناصر الدين الألباني في بيته في المهاجرين مرات صحبة الشيخ محمد عيد عباسي والمرحوم خير الدين وانلي (شاعر السلفية في دمشق) الذي كانت تربطني به صلة رحم فابنة عمه زوجة عمي، وكان ألد أعداء ملا عبد العزيز، وكان ملا عبد العزيز أستاذنا في المرحلة الجامعية التي قضيناها في كلية الدعوة أيام كونها فرعا من الأزهر الشريف، ومن أساتذتنا فيها الشيخ محمود الرنكوسي رحمه الله، والأستاذ منير العجلاني رحمه الله، وشيخنا وحبيبنا الشيخ بشير الرز، وأستاذنا وقرة أعيننا الشيخ محمد حمزة القابوني طيب الله ثراه، وما أحسبني بكيت في جنازة كما بكيت على الشيخ حمزة القابوني وعلى ملا سليم ابن ملا عبد العزيز الذي اخترمته أيدي الغدر في عنفوان شبابه، فأما الشيخ محمد حمزة فكتبت رثاءه وأنا أرمق نعوش أسرته العشرة بين يدي، وألقيت الرثاء والنعوش تخرج من المسجد وكان حدثا جللا سارت في جنازته دمشق عن بكرة أبيها، وكان قد لقي حتفه في حادث سير أليم هو وعشرة من أفراد أسرته، إذ كان في إحدى طرق شمال دمشق الشاهقة فأفلت ذنب شاحنة ضخمة كانت أمامه في الصعود وهوت بكل حمولتها على سيارته (البيك آب) وفيها معه زوجات أولاده وأبناؤهن، ووصل المشفى قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة فكان يومئ أن أريد قلما فأعطوه ورقة وقلما فكتب: (هذه منيتي والحمد لله أطلقوا سراح السائق) البقية في الحلقة القادمة إن شاء الله، وشكرا لكم. (أخوكم زهير ظاظا).




**أقول الدكتور محمد محمود كالو:**

الشاعر زهير ظاظا غني عن التعريف شهد له شعراء العصر بالموهبة الفذة، ألتقيته أول مرة حينما زرته في مدينة أبو ظبي عام 2008م، وكان برفقتي الصديقان الأستاذ حامد شبلي والأستاذ يوسف سيلو، حيث استمتعنا بهذا اللقاء، وسمعنا منه ما أثلج صدورنا، شعراً ونثراً ودفئاً وبرتقالاً لا زلت أشعر بحلاوتها إلى اليوم، ولما أصدر باكورة أعماله الشعرية في ديوان (ضياء نامه) عام 2009م خصني بنسخة؛ وأرسلها مع ابنه مشكوراً إلى مدينة العين.




إذا ألقينا نظرة فاحصة على كل ما في هذه الطبيعة، لوجدنا في كل صنف ونوع من يحتل الصدارة، ففي النبات، نجد في كل مجموعة، نبتة رائعة تلفت الأنظار إليها، بسمو في نموها، أو زهرة تميزت بالجمال، أو شجرة في البستان فاقت أقرانها، بكثرة ثمارها أو علوها، وكل هذه الأزهار والأشجار، تزرع في أرض واحدة، وتسقى بماء واحد.

أما في عالم الحيوان، ففي كل قطيع شاة متميزة، وفي كل عش دجاج ديك متفوق، وفي كل خلية نحل لها ملكة؛ تأمر فتطاع، وتدعو فتجاب، قال الشاعر أحمد شوقي:

مـمـلـكـة مُـدَبَّـرَهْ بـامـرأةٍ مُـؤَمَّـره

تحملُ في العمال والصناع عبءَ السيطره

فاعجـب لعمـال يُولُّـون علـيهم قَيْصَره

تـحـكـمهم راهــبــةٌ ذَكَّـارةٌ مُـغـبِّرهْ

عـاقـدةٌ زُنَّـارَهـا عن سـاقها مُشمِّره

تـلَـثمت بـالأَرجوانِ، وارتدته مئزره

فإذا أتيت إلى الإنسان، فالأمر فيه أوضح، ففي كل مجتمع رئيس، بدواً كانوا أو حضراً، أطفالاً أو كباراً، رجالاً أو نساء، وفي البدو شيخ القبيلة، وفي الحضر الأمير، وفي الديانة الشيخ والقسيس والحاخام، وفي الدوائر والحكم القاضي والمدير والوزير، وفي شؤون الاجتماع المصلح، وفي السياسة رئيس الحزب.

حب السيطرة والسيادة والزعامة، مجبول عليها الإنسان منذ نشأته ونعومة أظفاره، كالذي روي أن رجلاً نظر إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وهو غلام صغير؛ فقال: إني أرى هذا الغلام سيسود قومه؟!

فقالت أمه هند: ثَكِلْتُه إن كان لا يسود إلا قومه!!

وليست كل سيطرة زعامة، فهناك سيطرة بحكم المنصب، كالمدير والوزير، والقائد في الجيش، فهذه المناصب لا تخول صاحبها الزعامة، لأن ركن الزعامة هو: خضوع الجم الغفير من الناس بإرادتهم واختيارهم لمزايا خاصة يرونها في هذا الزعيم.

والزعامة أنواع: فهناك زعيم سياسي، وزعيم ديني، وزعيم علمي، وزعيم اجتماعي وهكذا، وهم على أنواعهم وألوانهم؛ تحتاج إليهم الأمة، حاجة الجيش إلى القائد، وحاجة السفينة إلى الربان.

فالزعامة قيادة للأمة، وهو عمل صعب وشاق، لا ينالها إلا أولوا العزيمة، فما أحوج البلاد إلى زعماء، تجمَّعَت فيهم هذه المزايا، وعناصر الزعامة، من صدق وأمانة، وذكاء وشجاعة، وحلم وتعاطف مع الناس، حتى يرتقوا بالأمة إلى العلو والسمو، وإلى الرقي والازدهار.

## مكتوب على باب السجن

قال مرعي الكرمي (ت 1033 هـ) في " دليل الحكّام في الوصول إلى دار السلام " (ص 41): يُقال: وُجِدَ مكتوباً على باب السجن: (هذا قبر الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء).

## الهاتف الجوال .. بين النعمة والوبال

منذ أيام قليلة كنت في سوق مدينة أديامان، وأذن المؤذن لصلاة المغرب فدخلت إلى المسجد لأداء الصلاة، وما أن قام الإمام إلى الركعة الثانية حتى سمعنا صوت نعيق مرتفع، يهز أركان المسجد ثم هدأ الصوت، وبينما الإمام يقرأ تفاجأنا بصوت موسيقى صاخبة، ثم انقطع هنيهة، لينبعث صوت رنين آخر، فيجرح مشاعر المصلين، وبعد أن أكمل الإمام قراءة الفاتحة بصوته الجميل، إذ بمصلٍ جانبي ينبعث صوت القرآن من جواله، ولما انتهت الصلاة، سمعت جلبة وضوضاء من بعض المصلين، كانوا ينكرون على أصحاب هذه الهواتف الجوالة، وأحدهم يقول: هل نحن في حديقة عامة؟! أو في السوق .. ! هل تريدون أن نركع ونسجد على رنات هواتفكم ؟! أصوات تذهب الخشوع والاطمئنان في الصلاة لمناجاة رب العالمين.

إن بعض المطاعم الراقية في باريس أصبحت تمنع إدخال الهواتف النقالة، لكي لا ينزعج الزبائن الوافدين على هذه المطاعم، ومساجدنا تنتهك حرماتها بالنغمات الموسيقية والرنات الصاخبة!..

إن من نعم الله جل جلاله على الناس في هذا الزمان أن يسَّر لهم الاتصال فيما بينهم دون مشقة أو عناء، سواء بعدت المسافة فيما بينهم أم قصرت، بل أصبح بإمكان المرء أن يكلم من يريد، وفي أي وقت يريد، وفي أي مكان يريد، والهاتف الجوال له خدمات، ومنافعها كثيرة، وعطاؤها غزير، ولكنه سلاح ذو حدين، قد يستخدم للخير وقد يستخدم للشر.

ولكم أعجبني تلك العبارة التي علقت على باب المسجد: أخي المصلي: اقطع اتصالك مع الخلق واجعل اتصالك بالخالق!

فانتبهوا قبل دخولكم إلى المسجد أن تغلقوا الجوالات والاتصالات، لتنعموا بالصلاة بين يدي فاطر الأرض والسموات.

## ومِنَ اللومِ ما قَتَلَ المودةَ والوصال

الكمال لله وحده، والعصمة للرسل والأنبياء فقط، والحفظ للأولياء والصالحين، أما باقي البشر فكل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، فمن طلب صديقًا بلا عيب، ظلَّ طول عمره بلا صديق!

ثم إن الإنسان ملول بطبعه، فقد يقبل النصيحة مرة أ اثنتين أو أكثر، ولكنه لا يقبل النصح باستمرار، والخطورة أن ينفذ إليه الشيطان ويزيِّن له العناد والمكابرة، فيرفض النصيحة حتى ولو كانت حقاً.

لذا على المسلم أن يقلل من اللوم في معاشرته لزوجه، وفي تربيته لولده، وفي سلوكه مع جاره، وفي صحبته لصديقه.

لا تُكْثِرْ له اللوم والعتاب؛ فتحصد العداوة، فمن اللَّوم ما قَتَلَ المودة والوصال؛ بل كُنْ ذكيًّا فَطِنًا، وَجِّه النقد بأدب ورفقٍ عند المهم من الأمور (فقط)، وتخيَّر الوقت المناسب، والحال المواتية، والساعة الهادئة، ثم استعمل الكناية والتعريض؛ ففيهما غُنْيَةٌ ومندوحة، وكلُّ لبيب بالإشارة يفهم.

قال ابن الرومي:

دعِ اللَّومَ إن اللَّومَ عونُ النوائِبِ
ولا تـتـجاوز فـيـه حـدَّ المُعاتِبِ
فما كلُّ من حطَّ الرحالَ بمخفقٍ
ولا كلُّ من شدَّ الرحالَ بكاسبِ

ولو استعرضنا آيات القرآن الكريم لوجدنا أن الله تعالى ذكر كلمة (مُلِيمٌ) مرتين فقط في آيتين اثنتين هما:

قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [سورة الذاريات:40].

وقال الله تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [سورة الصافات : 142 ].

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي داخل في الملامة على أن بناء (أفعل) للدخول في الشيء نحو (أحرم) إذا دخل الحرم أو آت بما يلام عليه على أن الهمزة فيه للصيرورة نحو (أغدَّ البعير) أي: صار ذا غدة، فهو هنا لما أتى بما يستحق اللوم عليه صار ذا لوم أو مليم نفسه.

فالمُليم: اسم فاعل من ألام، إذا فعل ما يلومه عليه الناس لأنه جعلهم لائمين فهو ألاَمَهم على نفسه.

قال ابن منظور في لسان العرب :

"لوم : اللوم واللوماء واللومى واللائمة : العدل . لامه على كذا يلومه لوماً وملاماً وملامة ولومة، فهو ملوم ومليم : استحق اللوم : حكاها سيبويه قال : وإنما عدلوا إلى الياء، والكسرة استثقالاً للواو مع الضمة".

وربما استشكلت لبعض الدارسين، كيف وردت كلمة (مُلِيمٌ) في حق نبي من أنبياء الله وهو يونس عليه الصلاة والسلام، وفي حق فرعون عدو نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام؟!

وقد أجاب الزمخشري (ت 538هـ) عن ذلك في الكشاف فقال:

{مُلِيمٌ}: آت بما يلام عليه من كفره وعناده، والجملة مع الواو حال من الضمير في فأخذناه.

فإن قلت: كيف وصف نبيّ الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [ الصافات: 142] ؟

قلت: موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافهما تختلف مقادير اللوم، فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها، وكذلك مقترف الصغيرة.

ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ﴾ [هود: 59] ﴿وَعَصَىٰ ءادَمُ رَبَّهُ﴾ [طه: 121] لأنَّ الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان، كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة.اهـ

وكما يقال: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

## أول مَن لُقّبَ بخادم الحرمَين

ورد في " الإشراف على المعتنين بتدوين أنساب الأشراف" : 353/1 مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، تأليف إبراهيم الهاشمي الأمير ( قول الشريف فوزان العبدلي أن شريف مكة قَدَّم للسلطان العثماني سليم الأول سنة 923 هـ لقب (خادم الحرمين).

ومعنى هذا اللقب - كما ذكر القلقشندي (ت 821هـ) في "صبح الأعشى في صناعة الإنشا": "خادم الحرمين الشريفين، من ألقاب السلطانية، والمراد حرَم مكة المشرفة والمدينة النبوية الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام ". اهـ.

لكن أقدم من ذكر هذا اللقب كان يوسف بن رافع ابن شداد (ت 632هـ)، حيث لقّب به السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت 589 هـ ) في " النوادر السلطانية " فقال: (خادم الحرمين الشريفين أبي المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي). انتهى.

# إن لم تكن ذئباً أكلتك الذِّئاب .. مفهومٌ خاطئٌ

قال الشاعر العربي:

إن لم تكن ذئباً من الذّئاب *** يأكلك فيها أحقر الكلاب

تتردد على الألسنة كثيراً عبارة "إن لَمْ تَكُنْ ذِئْبًا أَكَلَتكَ الذِّئَابُ" وذلك لدلالة على أن المجتمع الذي نعيش فيه، هو أشبه ما يكون بالغابة، حيث البقاء للأقوى، أما الضعيف فمصيره أن يكون فريسة.

فالحياة بمفهوم المؤمنين بهذه المقولة، خياريْن لا ثالث لهما: فإما أن تكون ذئباً بين ذئاب الحياة، أو تكون فريسة لتلك الذئاب، فلا مكان للضعفاء في الأرض، ولا رحمة ولا قانون عند الأقوياء.

إلا أنني أرى أن مثل هذه الأقوال تقتل المروءة والمحبة في قلوب الناس، وتجعل منهم كائنات مفترسة، وأرى أن الخير هو الغالب في الحياة، وأنه من الأجدى أن نربي أجيالنا الصاعدة على القيم الإيجابية من المحبة والتسامح والتعاون، وأن نربيهم على احترام الآخر، والالتزام بالقوانين ونبذ الفوضى واجتناب الظلم والعدوان.

وقد يعترض بعضهم قائلاً: هذه الجملة والمقولة " مَنْ لَمْ يَكُنْ ذِئْبًا أَكَلَهُ الذِّئَابُ "وردت في حديث للنبي صلى الله عليه وسلم فكيف لك أن تنكرها؟!

أقول: نعم ورد في الحديث عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، هُمْ ذِئَابٌ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذِئْبًا أَكَلَهُ الذِّئَابُ» [رواه الطبراني في الأوسط برقم:736].

ولكن فرق كبير بين أن تفهم كلام النبي صلى الله عليه وسلم على أنه أسلوب بالتعامل مع الآخرين، وبين أن تفهمه أن ذلك من علامات قيام الساعة.

ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» [رواه البخاري برقم:59] فهل هذا حث لنا على أن نوسِّد الأمر لغير أهله؟! أبداً.

هذه إشارات إلى أن الزمن الذي يكون فيه الإنسان ذئباً؛ هي من علامات آخر الزمان، فلا ينبغي أن نفهم الحديث على غير وجهه، فالنبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى علامات آخر الزمان بمعنى تنقطع الرحمة في تلك الفترة حتى تراهم كالذئاب.

أما المثل الذي يقول: (إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب)، فإنه يقصد أن تكون أنت ذئباً، وتأكل أموال الناس بالباطل والسطو على أشيائهم، فالذي يقول بهذا لم يفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبغي.

لذلك أرفض أن يتخذ الآن هذا الكلام مقياساً للتعامل بين الناس، ولو أننا تمثَّلنا به ضد أعدائنا من الغزاة والمحتلين لكان الأمر مقبولاً، ولكن المؤسف أن نتمثل به في مجتمعاتنا الإسلامية ضد بعضنا البعض، فالغني يأكل الفقير، والقوي يأكل الضعيف، والقاتل والسارق والمرتشي وجميع الخارجين على القانون يبررون أفعالهم القبيحة بمثل تلك الكلمة.

وقد تبدو الحياة في ظاهرها بأنها صراع بين القوي والضعيف، ولكنها في حقيقتها هي صراع بين الخير والشر، والحق والباطل، لأنها دار ابتلاء وامتحان للناس، وعلى العاقل أن يكون مع الحق والمنطق لا مع الباطل والشر، فكن عبداً ربانياً لا ذئباً بشرياً، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:48].

وهيهات لمن لامست قلوبهم بشاشة الإيمان أن يكونوا وحوشاً أو ذئاباً، وإنما كانوا ملائكة رحمة ينقلون البشرية من جوْر الأديان إلى عدْل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

إن الحياة ليست غابة إلا في مفهوم من لا يؤمن بالآخرة ولا بالجنة ولا النار، فهذا ينكب على الدنيا لا يطلب سواها، فهو يعمل كل ألوان الجرائم لأنه لا يؤمن بثواب ولا عقاب، أما المؤمن فلا يعتدي؛ لأن الله لا يحب المعتدين، ولا يظلم؛ لأن الله يمقت الظالمين، وإنما ديدنه أن يكون من حراس العدالة.

إلا أنه يجب علينا أن نفرق بين الحرص على القوة وبين العدوان، فالقوة في جميع صورها مطلوبة للأمة أفراداً وجماعات، ولكنها قوة مضبوطة بقوانين العدالة، ومحكومة بأخلاقية عالية، وليست قوة بطش وإرهاب، والمسلم أرفع من أن تكون أخلاقه قائمة على مبدأ: (إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب)، لأنه ينظر إلى أفراد المجتمع على أنهم إخوة له، يتعاون معهم ولا يتصارع، ويصفح عنهم إذا أساؤوا، ولذلك أسلم كثير من الشعوب في جنوب شرق آسيا على أيدي تجار المسلمين لما رأوا أخلاقهم الرفيعة، فالمؤمن يجب أن يحمل إسلامه أين ما ذهب، وأن يكون قدوة للناس في فعل الخيرات وترك المنكرات، فإذا ما رأوه أحبّوا الإسلام، ومن لم يكن كذلك فهو المسؤول عما يقع للإسلام من عقبات في تلك المجتمعات، لأنه لم يسلك سلوكاً قويماً، ولم يبيِّن للناس الدعوة بالحسنى، فالمؤمن هيِّنٌ ليِّن، وكيِّسٌ فطِن.

يخطئ من يقرأ (الرُّذاذ) بضم الراء، قال الرازي في مختار الصحاح (الرَّذَاذُ) بِالْفَتْحِ الْمَطَرُ الضَّعِيفُ، وقال الزبيدي في التاج : وفي الأَساس الرَّذَاذُ، بالفتح: مَطَرٌ رَقِيقٌ فَوقَ الطَّلِّ.

## إياكم والتكفير .. فإنه مزلق خطير

يتساهل كثير من الناس في تكفير المسلمين وخاصة في هذه الفوضى العارمة، ولقد نبتت نابتة بين المسلمين؛ يُكفِّرون أهل الإيمان لهوىً في نفوسهم، أو شبهٍ في عقول بعضهم، ويجمع هؤلاء قلة العلم الشرعي، بل إن عامتهم غير متخصص!

فهل يكون شرع الله هو الكلأ المباح لكل من أراد أن يُدخل في الدين ما ليس منه! أو يُخرِج من الدين ما هو منه!

انظروا في الطب؛ لا يتكلم فيه إلا الأطبا،، ومن سولت له نفسه أن يبني ويهندس من غير أهل التخصص؛ فإن الدنيا كلها تعيبه وتذمه، وكذلك الدي،، لا ينبغي أن يتكلم فيه إلا العلماء الراسخون في العلم.

لقد طال بالناس الزمان، حتى رأينا خوض الزراعي والصناعي ومن لا حرفة له في دين الله عز وجل، وأثمر هذا التطاول تكفيرًا لعامة المسلمين وأفرادهم؛ بل امتد ليشمل تكفير مجتمعات بأسرها.

إن الحكم على المسلمين في التكفير ينبني عليه أمور جسام من إخراجهم من الدين، وفقدهم لعصمة الدم والمال والعرض.

وهذا لعَمْرالله مزلق خطير؛ يقع فيه كثير ممن تربى بعيدًا عن هدي النبوة.

فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك هو المسلم الذي له ذمة الله، وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته" [رواه البخاري].

وعن المقداد بن عمر الكندي رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " أريت لو لقيت رجلاً من الكفار، فاقتتلنا، فضرب إحدى يديَّ فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمتُ لله؛ أأقتله يا رسول الله؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتله.

قال: يا رسول الله إنه قطع إحدى يديّ! ثم قال ذلك بعد أن قطع إحدى يديَّ فرارًا من القتل !

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقتله .. لا تقتله، فإن قتلتَه فإنه بمنزلتك قبل أن تقتُله، وأنت بمنزلتِه قبل أن يقولَها" [رواه البخاري].

إن قتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؛ فهو بمنزلتك قبل أن تقتله، أي مسلم، وإن قتلتَه فانت بمنزلته قبل أن يقول الكلمة التي تدخله في الإسلام.

إنه وعيد شديد لمن كفّر مسلمًا بعد أن قال: ( لا إله إلا الله).

قال الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى: في (إحكام الأحكام): "وهذا وعيد عظيم لمن كفَّر أحدًا من المسلمين، وليس كذلك".

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: "والذي ينبغي أن يميل المسلم إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إلى ذلك سبيلاً".

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في (السير الجرار): "اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر؛ لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُقْدِم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار".

اللهم أصلحنا وأصلح بنا، واجعلنا هداةً مهتدين، آمين يا رب.

## أمرتنا بخير فأطعناك

ذكر ابن عبد البر في تواضع أهل العلم فقال:

"سمعت غير واحد من شيوخي يذكر أن الغازي بن قيس ، لما رحل إلى المدينة سمع من مالك وقرأ على نافع القاري فبينما هو في أول دخوله المدينة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ دخل ابن أبي ذنب فجلس ولم يركع.

فقال له الغازي: قم يا هذا فاركع ركعتين ؛ فإن جلوسك دون أن تحيي المسجد بركعتين جهل أو نحو هذا من جفاء القول ، فقام ابن أبي ذنب فركع ركعتين وجلس ، فلما انقضت الصلاة أسند ظهره وتحلق الناس إليه، فلما رأى ذلك الغازي بن قيس خجل واستحيا وندم، وسأل عنه، فقيل له : هذا ابن أبي ذنب أحد فقهاء المدينة وأشرافهم ، فقام يعتذر إليه ، فقال له ابن أبي ذنب : يا أخي لا عليك أمرتنا بخير فأطعناك"

[ التمهيد لابن عبد البر : ٢٠ / ١٠٦ ].

## لا تغرس سهمه في قلبي!

قال أحدهم لرجل: فلان شتمك..!

فقال له: هو رماني بسهم ولم يصبني.. فلماذا حملت السهم وغرسته في قلبي؟!

لا تخبرني عمن يكرهني أو يتكلم عني أو يظلمني أو ينسى معروفي.. اتركني اضحك مع الجميع... وأظن ان الجميع يحبني... فكلامهم عني من خلفي لن يضرك ولن يضرني.. فإذا نقلته لي أحزنني بالدنيا.. وأضرك أنت في الآخرة.